

﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ
أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الزمر: 63]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

الوكيل على كل
شيء هو الذي
بيده مقاليد كل
شيء

لَمَّا بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ أَنَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ؛ بَيَّنَّ فِي الْجُمْلَةِ الْأُولَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَمُومَ: ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾، وَأَنَّهُ ظَاهِرٌ فِي أَمْرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْخَالِقِ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِيهَا خَلْقًا، وَأَنَّ مِنْ شَأْنِ الْوَكِيلِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ أَنْ يَكُونَ بِيَدِهِ مَقَالِيدُ كُلِّ شَيْءٍ، فَهَذِهِ الْجُمْلَةُ مِنْ تَمَامِ مَا قَبْلَهَا، وَلَمَّا وَصَفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ نَفْسَهُ فِي الْجَمَلِ الثَّلَاثِ السَّابِقَةِ بِالصِّفَاتِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْجَلَالِيَّةِ، وَهُوَ كَوْنُهُ خَالِقًا لِلْأَشْيَاءِ كُلِّهَا، وَكَوْنُهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلًا، وَكَوْنُهُ مَالِكًا لِمَقَالِيدِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِأَسْرِهِا؛ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِهَذِهِ الْآيَاتِ الظَّاهِرَةِ الْبَاهِرَةِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ⁽¹⁾.

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿مَقَالِيدُ﴾: (قَلْد) أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى تَعْلِيقِ شَيْءٍ عَلَى شَيْءٍ، وَلِيَّهِ بِهِ، فَمِنْهُ تَقْلِيدُ الْبَدَنَةِ، وَذَلِكَ أَنْ يُعْلَقَ فِي عُنُقِهَا شَيْءٌ؛ لِيُعْلَمَ أَنَّهَا هَدْيٌ، وَأَصْلُ الْقَلْدِ: الْفَتْلُ، يُقَالُ: قَلَدْتُ الْحَبْلَ أَقْلِدُهُ قَلْدًا؛ إِذَا فَتَلْتَهُ، وَحَبْلٌ قَلِيدٌ وَمَقْلُودٌ، وَتَقَلَدْتُ السَّيْفَ، وَمُقَلَّدُ الرَّجُلِ: مُوضِعُ نِجَادِ السَّيْفِ عَلَى مَنْكِبِهِ، وَيُقَالُ: قَلَدَ فُلَانٌ فُلَانًا قِلَادَةً سَوًّا؛ إِذَا هَجَاهُ بِمَا يَبْقَى عَلَيْهِ وَسَمُّهُ، وَالْمَقَالِيدُ هِيَ الْمَفَاتِيحُ وَالْأُمُورُ الْجَامِعَةُ الْقُوَّةُ، وَهِيَ الْخَزَائِنُ، وَلَعَلَّهَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا تُحَصِّنُ الْأَشْيَاءَ، أَيْ: تَحْفَظُهَا وَتَحَوِّزُهَا، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: أَقْلَدَ الْبَحْرُ عَلَى خَلْقٍ

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب.

كثير؛ إذا أَحْصَنَهُمْ فِي جَوْفِهِ، وهي في الآية بملاحظة جملتها كنايةً عن الملك والحِفْظِ والتَّدْبِيرِ، أو مجازاً بالكناية⁽¹⁾.

✽ الْمَعْنَى الإِجْمَالِي:

بَيَّنَّتِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ كَوْنَهُ تَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلًا، بَأَنَّهُ تَعَالَى مُحِيطٌ بِشَأْنِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَبِيَدِهِ خَزَائِنُهُمَا أَوْ مَفَاتِيحُهُمَا، عَلَى أَنَّ الْمَعْنَى أَنَّهُ الْمَالِكُ لِهَمَا، وَالْمُدَبِّرُ أَمْرَهُمَا، وَالْمُتَصَرِّفُ فِيهِمَا، وَالْحَافِظُ لِهَمَا، وَبَيَّنَّتْ مَوْقِفَ فِتْنَةٍ مِنَ النَّاسِ إِزَاءَ مَا وَرَدَ مِنْ آيَاتِ وَبَرَاهِينٍ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَأَلُوْهِيَّتِهِ الْحَقَّةِ فِي الْجَمَلِ الثَّلَاثِ: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. وَهُوَ الْكَفَرُ بِهِنَّ، وَبَيَّنَّتْ عَاقِبَتَهَا عَلَى الْجُمْلَةِ مِنَ الْخُسْرَانِ الْمُبِينِ الْكَامِلِ.

كُونُهُ تَعَالَى
مَالِكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ، وَدَبَّرَ
أَمْرَهُمَا،
وَحَافَظَهُمَا
ظَاهِرٌ جَدًّا، ثُمَّ
يَكْفُرُونَ بِذَلِكَ
كُلَّهُ

✽ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

سِرُّ فَضْلِ الْآيَةِ عَمَّا قَبْلَهَا:

فَصَلَ الْقِرَاءَنُ جَمْلَةً: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ عَمَّا قَبْلَهَا؛ لِأَنَّهَا تَلْزِمُ الْجَمْلَتَيْنِ اللَّتَيْنِ قَبْلَهَا، فَهِيَ نِتَاجُهُمَا؛ فَخَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَوَكِيلُ كُلِّ شَيْءٍ هُوَ الَّذِي فِي يَدِهِ مَقَالِيدُ كُلِّ شَيْءٍ، فَهِيَ مَعَانٍ مُتَدَاخِلَةٌ جَدًّا، وَكَأَنَّ أَصْلَ الْمَعْنَى وَاحِدٌ، وَهُوَ عِزُّ الْأُلُوْهِيَّةِ⁽²⁾، فَبَيْنَهُمَا كِمَالُ اتِّصَالٍ؛ فَلِهَذَا حُذِفَتِ الْوَائِدَةُ عَلَى الْأَصْلِ وَالظَّاهِرِ، وَإِنَّمَا لَمْ تَأْتِ الْوَائِدَةُ؛ احْتِفَالًا بِمَا تَدْخُلُ عَلَيْهِ؛ لِأَهْمِيَّتِهِ فِي السِّيَاقِ؛ إِذْ هُوَ مُقَدِّمَةٌ مِنْ مُقَدِّمَاتٍ تَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا النَّتِيجَةُ الَّتِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَفَعَبَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُوَنِي أَعْبُدُ أَتِيهَا الْجَاهِلُونَ﴾، كَمَا فِي جَمْلَةٍ: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾؛ فَرَقًا بَيْنَ مَا هُوَ أَمٌّ مِنَ الْمَعَانِي وَمَا هُوَ فَرْعٌ مِنْهَا،

بَعْضُ الْمُقَدِّمَاتِ
سُزِّحَ وَتَفْصِيلٌ
وَبَيَانٌ لِبَعْضٍ

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (قلد)، والزمخشري، الكشاف: 422 / 13 - 423، والبقاعي، نظم الدرر: 467 / 6، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 54 / 24.
(2) أبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتها بآل حم، ص: 394.

فهذه الجملة المفصولة فرعُ جملة: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾، وكذلك جملة: ﴿اللَّهُ خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، والحاصل أنَّ هذه الجملة المفصولة يصحُّ أن تكون بياناً للجملتين قبلها، وفهم بعض المفسرين أنَّ المقصود كونها بياناً لجملة: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ خصوصاً؛ لخصوصية العلاقة بين كونه تعالى وكيلاً على كلِّ شيء وكونه له مقاليد السموات والأرض، فالوكيل على شيء يكون هو المتصرف في العطاء والمنع، هذا ما يفهم من قوله ببيان هذه الجملة للتي قبلها خصوصاً⁽¹⁾.

دلالة اللام في ﴿لَهُ﴾:

اللام في قوله تعالى: ﴿لَهُ﴾ لامُ الاختصاص، وهي التي تتضمنها الإضافة، وهي تمهيدٌ للقصر الحاصل بتقديم المسند على المسند إليه، وهي مع ضمنية هذا القصر إبلاغٌ في تقرير أنَّ له تعالى مقاليد السموات والأرض، وفي هذا التوكيد والتحقق زيادة تثبت للنبي ﷺ الذي قال له ربُّه في اللحاق القريب: ﴿قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونَ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾، وفيه أيضاً إشارة إلى كمال ظهور هذا المعنى لجميع الناس، ومنهم من يُخاطبهم الرسول بهذا الاستفهام.

علة التعبير بالضمير:

عبر القرآن عن اسم الجلالة بالضمير في قوله تعالى: ﴿لَهُ﴾ مقاليد السموات والأرض، على الأصل والظاهر؛ لبيان قوة التواصل والتلازم بين مضمون هذه الجملة ومضمون الجملة التي قبلها، وأنَّ شأنه تعالى مع السموات والأرض، وشأنه فيهما يوصل بسهولة إلى إدراك العبد أنَّه سبحانه على كلِّ شيء وكيل، وأنَّ من أراد أن يدرك كونه تعالى وكيلاً على كلِّ شيء؛ فلينظر في شأنه تعالى فيهما،

اختصاصه
تعالى بشأن
السموات
والأرض ظاهر
لكل أحد

ما جاء على
أصله في القرآن
لا يخلو من
حكمة وفائدة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 54 / 24.

وكذلك العلاقة بين مضمون هذه الجملة ومضمون جملة: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

نكتة تقديم الجار والمجرور:

قوله تعالى: ﴿لَهُ﴾ متعلق بخبر مقدم، وقوله تعالى: ﴿مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مبتدأ مؤخر، ويفيد تقديم المسند على المسند إليه معنى القصر، أي: مقاليد السموات والأرض لله، لا لغيره، قصر صفة على موصوف قصرًا إضافيًا، وإنما استعمل القرآن أسلوب القصر، "مع أنَّ المعنى دالُّ على الاختصاص؛ لأنَّه لا يملك خزائن السموات والأرض إلاَّ الله سبحانه" (1)؛ إبداعًا في إثبات مقاليد السموات والأرض لله تعالى؛ إشارة إلى كمال ظهور هذا المعنى؛ حتى لا يَبْقَى لأحد نوع حُجَّة أو شُبْهة، فيعدل عن عبادته تعالى، أو يعبد معه غيره، أو يدعو إلى ذلك.

علة التعبير بـ: ﴿مَقَالِيدُ﴾:

لفظ ﴿مَقَالِيدُ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، قيل: لا واحد له من لفظه، وقيل: هو جمع مقلد، ويقال: إقليد، وأقاليد، وقيل: أصله فارسي، فإن قلت: ما للكتاب العربي المبين وللفارسية؟ فالجواب: التعريب أحالها عربيَّة، كما أخرج الاستعمال المَهْمَل من كونه مَهْمَلًا، والمقاليد المفاتيح والأمور الجامعة القويَّة، ومعناها الخزائن، ولعلَّها سُمِّيَتْ بذلك؛ لأنها تُحَصِّنُ الأشياء، أي: تحفظها، وتحوزها، والعرب تقول: أقلد البحر على خلق كثير؛ إذا أحصنهم في جوفه (2)، فهو الألق بـ ﴿وَكَيْلٌ﴾، وهو نتاج القرْن بين إثبات الخلق وإثبات الوكالة له تعالى على صفة العموم التي

القَصْرُ يُلْفِثُ
الْمُتَلَقِّينَ الْكَافِرِينَ
إِلَى مَا غَفَلُوا

المَقَالِيدُ رَأْسُ
مَعْنَى كَالْخَلْقِ
وَالْوَكَالَةِ

(1) أبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتهما بآل حم، ص: 399.

(2) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (قلد)، والزمخشري، الكشاف: 422 / 13 - 423، والبقاعي، نظم

الدرر: 467 / 6، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 54 / 24.

أَبَانَ عنها لفظُ: ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾، فكأنَّ معنى هذه الجملةِ رأسُ بذاتِهِ
معَ رأسِ جملةِ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، ورأسِ جملةِ أَنَّهُ على كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ،
فلفظُ ﴿مَقَالِيدُ﴾ هو الصَّقُّ بالعمومِ الذي في: ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾؛ لما فيه
مِنْ تفصيلٍ يرجعُ إلى معناه، وإلى صيغته أيضًا، أي: إِنَّ مَنْ كان
خالقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَنْ كان على كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلًا؛ كان محيطًا بالكونِ
كلِّه، وبيده مفاتيحه وخزائنه.

دلالة صيغة الجمع:

قوله تعالى: ﴿مَقَالِيدُ﴾ جَمْعُ كَثْرَةٍ، وخزائنُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ لا
تكادُ تنفدُ، قال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: 196]، وبهذه الكثرة غيرِ المنتهية بالنسبةِ لَنَا تَتَسَقُّ هذه الجملةُ: ﴿لَهُ
مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ معَ الجملتينِ اللَّتَيْنِ قَبْلَهَا: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ
شَيْءٍ﴾، و﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾، فهذه الكثرة تتقاطعُ معَ العمومِ
في لفظ: ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾.

علة التعبير بـ ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾:

حَصَّ القرآنُ ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بالذكرِ في قوله تعالى: ﴿لَهُ
مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ لأنَّهما خزانُ الكائناتِ، فهما تفسيرانُ
لفظِ العمومِ في الجملتينِ السَّابقتينِ: ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾؛ لأنَّ الله قد
قَرَّرَ أهلَ الكفر والشُّركِ خصوصًا بخلقِ كُلِّ شَيْءٍ بخلقِ السَّمَاوَاتِ
والأَرْضِ في قوله تعالى: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر: 38]، وبهذا يَكْمُلُ التَّأَلُّفُ بينَ الجملِ الثَّلَاثِ: ﴿اللَّهُ
خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ - ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ - ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ﴾، وفي تخصيصِهما بالذكرِ تفصيلٌ للعمومِ، ووراءَ هذا
التَّفْصِيلِ مِنَ المعنى إشارةٌ إلى كمالِ ظُهورِ أَنَّ بيده تعالى أَمْرَ
السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ، فكيف يُعْقَلُ عنه تعالى؟ بل كيف يدعو أحدٌ أحدًا
إلى عبادةِ شَيْءٍ معَ اللَّهِ؟.

الكثرة مدخلُ
العمومِ
ومسلَّكه، وهي
عمودُ الجملِ
الثَّلَاثِ

السَّمَاوَاتِ
والأَرْضِ مجلى
وكالتيه وصورة
عظيمة خلقه
تعالى

بلادة الكناية والمجاز في الجملة:

قوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كناية عن صفة، وهي الملك والحفظ والتدبير والتصرف؛ لأن حافظ الخزائن ومُدبّر أمرها هو الذي يملك مقاليدها، ومنه قولهم: فلان ألقيت إليه مقاليد الملك، وهي المفاتيح، يُراد: صار مالكا حافظا مُدبّرا، ويحتمل أن يكون استعارة مكنية، وأن ما في الأرض من كنوز وذخائر، وما في السماء مما لا يعلمه إلا الله، كل ذلك مُشبه بالكنوز التي في الخزائن، وأن حاجة الناس إلى كل ذلك حاجة ماسة، وحذف المشبه به، ورمز له بشيء من لوازمه، وهي المقاليد، وهذا الوجه جيد؛ لأن كل ما يعيش به الناس والحيوان والطير والدواب، كل ذلك من خزائن الله: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَثُورًا ۝﴾ [الإسراء: 100] (1).

نكتة التقديم:

قدّم القرآن جملة: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ على جملة: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾؛ لأن هذه الجملة المقدمة من تمام ما قبلها من الجملتين: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾، فهي ثمرتهما؛ لأنه إذا كان سبحانه خالق كل شيء ومالك كل شيء؛ فلا محالة أن تكون بيده مقاليد كل شيء، هذه نتيجة متوقعة، وهي أيضا: تأكيد لهما؛ لأن الذي بيده المقاليد هو الوكيل، وهو المالك، ومع الجمل الثلاثة ينمو المعنى، ولكنك تدرك أن جزءا كبيرا من الذي في باطنها يؤكد بعضه بعضا، فهذه الجمل الثلاث مؤلفة كما ترى؛ لأنها تجري في فلك واحد، وأصل المعنى فيهن واحد، وهو عز الألوهية، وأما جملة: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾

ما عند الله من
كنوز و خزائن
لا ينفد، وهو
وحده المدبّر لها،
المتصرف فيها

الجملة الثالثة
من تأليف
المؤلف،
والرابعة من
تأليف للختلف

(1) الزمخشري، الكشاف: 423/13، والراغب، المفردات: (قلد)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 54/24، وأبو موسى، الزمر - محمد، وعلاقتها بآل حم، ص: 399.

بَيَّاتِ اللَّهُ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ؛ فهي مُخْتَلِفَةٌ عَنْ هَذِهِ الْجُمْلَةِ
الثَّلَاثِ؛ لِأَنَّهَا تُقَرَّرُ مَوْقِفًا غَرِيبًا مِنْ هَذِهِ الْأَدَلَّةِ الظَّاهِرَةِ فِي الْجُمْلَةِ
الثَّلَاثِ، وَهُوَ الْكُفْرُ بِهَا؛ لِأَنَّ الْكُفْرَ بِآيَاتِ اللَّهِ كُفْرٌ بِهِ⁽¹⁾.

سِرُّ الْوَصْلِ بِالْوَاوِ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾
مَعْطُوفٌ بِالْوَاوِ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
وَكَيلٌ﴾⁽²⁾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَطَفَ جُمْلَةً عَلَى جُمْلَةٍ، عَلَى
مَعْنَى: أَنَّهُ عَزَّ شَأْنُهُ مُتَّصِفٌ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الْجَلِيلَةِ الشَّانِ، وَالَّذِينَ
كَفَرُوا، وَجَعَدُوا ذَلِكَ أُولَئِكَ هُمُ الْكَامِلُونَ فِي الْخُسْرَانِ، وَلَيْسَ مَعْطُوفًا
عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَقَارَتِهِمْ﴾؛ لِأَنَّهُ مُتَّصِلٌ بِقَوْلِهِ
تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾، فَلَوْ
قِيلَ بَعْدَ: ﴿وَيُنَبِّئُ اللَّهُ﴾ الْآيَةِ، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ الْآيَةُ:
لَمْ يَحْسُنْ؛ لِأَنَّ الْأَحْسَنَ عَلَى هَذَا الْمَسَاقِ أَنْ يُقَدَّمَ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿وَيُنَبِّئُ اللَّهُ﴾ الْآيَةِ، وَلَئِنْ جُمْلَةً: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ الْآيَةُ،
كَالْتَخْلُصِ إِلَى مَا بَعْدَهَا، مِنْ حَدِيثِ الْأَمْرِ بِالْعِبَادَةِ، وَإِخْلَاصِهَا لِلَّهِ
تَعَالَى⁽²⁾، فَبَيْنَ هَذِهِ الْجُمْلَةِ وَمَا قَبْلَهَا تَوَسُّطُ بَيْنَ الْكَمَالَيْنِ؛ لِأَنَّ كُلًّا مِنْ
هَذِهِ الْجُمْلَتَيْنِ خَبَرٌ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى، وَفِي الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ آيَاتُ اللَّهِ الَّتِي
كَفَرَ بِهَا الْمُحَدَّثُ عَنْهُمْ، وَاسْمُ الْجَلَالَةِ هُوَ جَوْهَرُ الْمَعْنَى فِي الْجُمْلَةِ
الْأَرْبَعَةِ، وَحَسَنَ الْوَصْلِ الْأَسْمِيَّةُ فِيهِنَّ جَمِيعًا.

عَلَّةُ التَّعْبِيرِ بِالْمَوْصُولِ:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾
عَبَّرَ الْقُرْآنُ بِالْمَوْصُولِ الْجَمْعِيِّ الصَّادِقِ عَلَى جَمَاعَةِ الذُّكُورِ لَفْظًا
وَعَلَيْهِمْ وَعَلَى جَمَاعَةِ الْإِنَاثِ مَعْنًى لِلتَّغْلِيْبِ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ هَذَا الْكُفْرَ

هَذِهِ آيَاتُ اللَّهِ
جَلِيلَةٌ فِي الْكُؤْنِ،
وَهَؤُلَاءِ قَدْ كَفَرُوا
بِهَا

وَصَلُوا الْكُفْرَ
بِأَنْفُسِهِمْ،
فَتَمَكَّنَ مِنْهُمْ،
وَرَسَخَ فِيهِمْ

(1) أَبُو مُوسَى، الزمر - محمد، وعلاقتها بآل حم، ص: 393، 399، 340.

(2) الْأَلُوسِي، روح اللعاني: 23 / 24.

كَانَ مَوْقِفَ جَمَاعَةٍ، أَي: مَوْقِفًا جَمَاعِيًّا قَوِيًّا، وَأَنَّ مِمَّا شَجَّعَهُمْ عَلَيْهِ كَوْنُهُ مَوْقِفَ جَمَاعَةٍ، فَقَدْ قَبِلَ كُلُّ مِنْهُمْ كَذِبَ الْآخِرِ وَبَاطِلَهُ وَظُلْمَهُ، وَصَدَّقَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَلَمْ يَنْهَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَقَدْ أورد القرآن هذه الجملة عَقِبَ جُمْلٍ تَبَيَّنَ آيَاتِ اللَّهِ وَعِزُّ الْأُلُوْهِيَّةِ، فَكَانَ مِنْ عَظِيمِ الْجَرَمِ أَنْ يَكْفُرَ أَحَدٌ بِهَذِهِ الْآيَاتِ الظَّاهِرَةِ الْبَاهِرَةِ الْجَلِيَّةِ لِكُلِّ أَحَدٍ، وَفِي الْمَوْصُولِ كَذَلِكَ تَشْوِيقٌ إِلَى مَعْرِفَةِ الصَّلَةِ، وَهَذَا مِنْ سُبُلِ تَمْكِينِ الْمَعْنَى فِي النَّفْسِ.

عَلَّةُ التَّعْبِيرِ بِالْكَفْرِ مَادَّةٌ وَصِيغَةٌ:

جَعَلَ الْقُرْآنُ فِعْلَ صَلَةِ الْمَوْصُولِ الْكُفْرَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾؛ لِأَنَّهُ الْأَشْكَلُ بِالْآيَاتِ الَّتِي هِيَ جَمْعُ آيَةٍ، وَالْآيَةُ الْعَلَامَةُ، هَذِهِ الْآيَاتُ الظَّاهِرَةُ الْجَلِيَّةُ الَّتِي فِيهَا سَمَتْ الْأُلُوْهِيَّةُ قَدْ سَتَرَهَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ الْمُحَدِّثُ عَنْهُمْ، "وَلَبَسُوا مَا اتَّضَحَ لَهُمْ مِنَ الدَّلَالَاتِ، وَجَحَدُوا أَنْ تَكُونَ الْأُمُورُ كُلُّهَا بِيَدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ"⁽¹⁾، فَكَفَرُوا بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالشَّرِيعَةِ وَالنُّبُوَّةِ، وَتَعَمَّدُوا ذَلِكَ كُلَّهُ، وَفِي ذَلِكَ كُلِّ عَجَبٍ وَغَرَابَةٍ مِنْ حَالِهِمْ، وَلَمَّا كَانَ السِّيَاقُ لِحِكَايَةِ حَالِ هَؤُلَاءِ فِيمَا مَضَى؛ نَظَّمَ الْقُرْآنُ مَعْنَى الْكَفْرِ فِعْلًا مَاضِيًّا.

معنى الباء ودلالة التعبير بها:

الْبَاءُ لَا يَكَادُ يَفَارِقُهَا مَعْنَى الْإِلْصَاقِ أَوْ الْمُلَابَسَةِ، فَتَدُلُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ عَلَى مَا هُوَ عَجِيبٌ وَغَرِيبٌ فِي بَابِهِ؛ إِذْ مِنْ شَأْنِ الْآيَاتِ أَلَّا يُكْفَرَ بِهَا، حَتَّى إِنَّهَا لَا يَتَسَلَّطُ عَلَيْهَا الْكُفْرُ فِي اللَّفْظِ، وَهُوَ أَنَّ كَفَرَهُمْ أَحَاطَ بِالْآيَاتِ، وَتَمَكَّنَ مِنْهَا، وَأَنَّ كَفَرَهُمْ كَانَ بَعْدَ عِلْمٍ بِهَذِهِ الْآيَاتِ، وَأَنَّهَا آيَاتُ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، فَكَانَ كَفْرًا مُتَعَمِّدًا جَرِيئًا، بَعْدَمَا قَامَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ، وَظَهَرَتْ، وَبَهَرَتْ، وَقَهَرَتْ.

الْكَفْرُ بِالْأَظْهَرِ
وَالْأَبْهَرِ مِنْ
الْآيَاتِ عَجِيبٌ
غَرِيبٌ

يَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ
بَعْدَمَا تَبَيَّنَ أَنَّهُ
الْحَقُّ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 6 / 467.

دلالة جَمْعِ الْقَلَّةِ:

في عدِّ جمع المؤنث السالم جمع قَلَّةٍ رأيَانِ، أحدهما يقول: إنَّه موضوعٌ للقَلَّةِ، والآخرُ يقول: إنَّه ملحقٌ بأوزان القَلَّةِ، ففي الجمعِ إشارةٌ إلى تعدُّدِ حُجَّةِ الله تعالى على العبادِ، فقد أحاطَهم بما يدلُّهم عليه، ويوصلهم إليه، وأشارتِ القَلَّةُ في الآياتِ إلى تميُّزِها، شأنُ كلِّ قليلٍ؛ لأنَّ فيها سيما جلالِ الله وجمالِ الله وكمالِ الله ﷻ، بقرينة الإضافةِ إلى اسمِ الجلالةِ ﴿اللَّهُ﴾ الذي هو أكبرُ أسمائه سبحانه وأجمعها⁽¹⁾.

علَّةُ التَّعبيرِ باسمِ الجلالةِ مُظْهِراً:

كان الظَّاهرُ أنَّ يقول القرآن: (والذين كفروا بآياته)، ولكنَّه صرَّح بلفظ الجلالة؛ تبييناً على كمال حضورِ جلاله وجماله وكماله في الآياتِ، عندما تلقَّاها أولئك الذين كفروا بها، ففي كلِّ آيةٍ سيما الألوهيةِ الحقَّةِ، قال البقاعي: "﴿بَيَّاتِ اللَّهُ﴾، أي: الذي لا ظاهرَ غيرها، فإنَّه ليس في الوجودِ إلَّا ذاته سبحانه: وهي غيبٌ، لا يُمكن المخلوق دركها، وأفعاله: وهي أظهرُ الأشياءِ، وصفاته: وهي غيبٌ من جهةٍ، شهادةٌ من جهةٍ أخرى"⁽²⁾.

دلالة الإضافةِ في ﴿بَيَّاتِ اللَّهُ﴾:

أضاف القرآنُ الآياتِ إلى لفظ الجلالة الجامع للكمالات المطلقة، والذي ترجع كمالاته إلى هذه الآيات في قوله تعالى: ﴿بَيَّاتِ اللَّهُ﴾، فدلَّ هذا على أنَّ الآياتِ تكتسبُ من كماله تعالى ما يزيدها جلاءً⁽³⁾، وأنَّ كماله ظاهرٌ بقوةٍ في الآياتِ؛ لدلالة الإضافة على معنى الاختصاصِ، فإنَّها في الأصلِ تكون لأدنى ملابسةٍ، كأنَّ

قد قامت على
أهل الكفر
الحجة البالغة
على جهة
الكمال والتَّمام

ظَهَر لَهم الحَقُّ،
فكفروا به

مَنْ أَبْصَرَ
الألوهيةَ في
الآياتِ؛ آمَنَ بها

(1) القرطبي، الدامع لأحكام القرآن: 1/ 102.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 6/ 467.

(3) أبو موسى، الزمر - محمد، وعلافتها بآل حم، ص: 402.

المعنى: أنها ليست إلا آيات الله، فهي تنطق بالوحيّة صاحبها وكمال جلاله وكمال جماله.

علة التعبير بـ: ﴿أُولَئِكَ﴾:

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ خبر الموصول، وإنما عبر القرآن باسم الإشارة للبعد: ﴿أُولَئِكَ﴾، وكان من الممكن أن يقال: (والذين كفروا بآيات الله هم الخاسرون)؛ دلالة على الغضب الإلهي، من كفرهم بالآيات الظاهرة الباهرة، ففيه معنى تمييزهم أكمل تمييز قبل الإخبار عنهم بأنهم هم وحدهم الخاسرون، وفيه دلالة على بُعدهم من رضا الله ورضوانه، وهو بُعد غضب، وفيه تنبيه على أن المشار إليهم خسروا لأجل ما وُصفوا به قبل اسم الإشارة، وهو الكفر بآيات الله التي هي دلائل وجوده ووحدانيته التي أشارت إليها الجمل الثلاث السابقة⁽¹⁾.

دلالة ضمير الفصل:

لفظ: ﴿هُم﴾ في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ضمير فصل، يدلّ توسّطه بين طرفي الإسناد على حصر الخسارة في المحدث عنهم، وقصرها عليهم قصر صفة على موصوف قصرًا حقيقيًا ادعائيًا؛ بناءً على عدم الاعتداد بخسارة غيرهم بالنسبة إلى خسارتهم، فخسارتهم أعظم خسارة⁽²⁾، وهذا ناظر إلى مطلق الخسران، وكذلك إذا فهمنا أنه قصر إضافي قلبي؛ نظرًا إلى أن المحدث عنهم من الكافرين يزعمون أن المؤمنين هم الخاسرون، وإنما يكون قصرًا حقيقيًا تحقيقيًا؛ إذا لوحظ معنى الكمال في تعريف المسند: ﴿الْخَاسِرُونَ﴾ بـ (ال).

ضلّوا عن آيات
الله، فخابوا،
وخسروا

في ضمير الفصل
مع تعريف
الطرفين إبداعًا
في لفّتهم إلى
عظم الخسارة
في الآخرة

(1) البقاعي، نظم الدرر: 467/6، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 55/24 - 56، وأبو موسى، الزمر -

محمد، وعلاقتها بآل حم، ص: 402.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 55/24.

عَلَّةُ التَّعْبِيرِ بِالْخُسَارَةِ:

الحُرُومُ مَنْ لَمْ
يَنْقُذْ لآيَاتِ ذِي
السُّلْطَانِ الْمَطْلُوقِ

وصَفَ الْقُرْآنُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ بِأَنَّهُمْ هُمُ: ﴿الْخَسِرُونَ﴾؛
لَأَنَّ الْخَبَرَ وَصَفٌ فِي الْمَعْنَى لِمُصَاحِبِهِ؛ نَظَرًا إِلَى مَعْنَى الْفَوْزِ فِي قَوْلِهِ
تَعَالَى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ﴾؛ لِيَحْصَلَ التَّقَابُلُ بَيْنَ
الْفَرِيقَيْنِ، فَفَرِيقٌ فَازَ، وَفَرِيقٌ خَسِرَ، "وَلَأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ مَنْ لَهُ
مَقَالِيدُ خَزَائِنِ الْخَيْرِ، فَعَرَّضُوا أَنْفُسَهُمْ لِلْحَرَمَانِ مِمَّا فِي خَزَائِنِهِ،
وَأَعْظَمُهَا خَزَائِنُ خَيْرِ الْآخِرَةِ"⁽¹⁾.

بِلَاغَةُ التَّعْرِيفِ بِ(ال):

كَمَلُوا فِي
الْكَفْرِ، فَكَمَلَتْ
خُسَارَتُهُمْ
وَوَسَارَتُهُمْ

عَرَّفَ الْقُرْآنُ خَبَرَ اسْمِ الْإِشَارَةِ بِ(ال) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ
هُمُ الْخَسِرُونَ﴾، وَبِهَذَا التَّعْرِيفِ وَتَعْرِيفِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ: ﴿أُولَئِكَ﴾؛
يَحْصُلُ مَعْنَى الْقَصْرِ، قَصَرَ الْمُسْنَدُ عَلَى الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ، أَي: مَا الْخَاسِرُ
إِلَّا أُولَئِكَ، وَ(ال) تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى الْكَمَالِ، أَي: أُولَئِكَ هُمُ الْكَامِلُونَ
فِي الْخُسَارَةِ أَوْ الْخُسْرَانِ؛ لِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِمَنْ ظَهَرَتْ الْوَهْيُتَّةُ فِي آيَاتِهِ
ظَهُورًا بَيِّنًا لِكُلِّ ذِي عَيْنَيْنِ؛ لِأَنَّهَا حَقَائِقُ ثَابِتَةٌ، فَقَدْ ظَهَرَ لَهُمْ أَنَّهُ
الْخَالِقُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَهُمْ يُفَرِّقُونَ بِخَالْفِيَّتِهِ، وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ،
فَهَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُهُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ وَهُوَ الَّذِي
لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَهُوَ الْمُنْعِمُ عَلَيْهِمْ مِنْ خِلَالِهِمَا نِعْمًا لَا
تَكَادُ تُعَدُّ، وَلَا تُحْصَى.

بِسَرِّ حَذْفِ مُتَعَلِّقِ الْخُسْرَانِ:

خُسْرَانُ الْآخِرَةِ
هُوَ الْخُسْرَانُ
الْمُبِينُ

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْخَسِرُونَ﴾ اسْمٌ فَاعِلٌ مِنَ الْفِعْلِ الثَّلَاثِيِّ:
(خَسِرَ)، وَهُوَ يَعْمَلُ عَمَلَ الْفِعْلِ، وَفِعْلُهُ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ إِلَى مَفْعُولٍ،
كَمَا فِي غَيْرِ قَلِيلٍ مِنْ آيِ الْقُرْآنِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُ
فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: 9]،
وَلَمَّا كَانَ هَذَا الْخُسْرَانُ عَظِيمًا فِي بَابِهِ؛ لِأَنَّهُ نَتَاجُ الْكَفْرِ بِمَا قَامَتْ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 55/24.

فيه دلائل الألوهية الحقّة جليّة بيّنة باهرة؛ كان سرُّ الحذف الدّلالة على عموم المحذوف إيجازاً؛ مشيراً إلى غاية الغضب الإلهي عليهم، أي: خسروا أنفسهم، وخسروا الحقّ، وخسروا الإيمان، وخسروا صُحبة النّبي ﷺ وخسروا القرب من الله، ورضاه عليهم، ورضوانه الأكبر، وغير ذلك من خير الحياة الآخرة.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخمسون،

سورة الزُّمَر من الآية 05 إلى الآية 72

مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1447هـ - 2026م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2026م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخمسون، سورة الزُّمَر من الآية 05 إلى الآية 72

[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.

مج. 50 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.

ردمك : 4-81-643-9948-978

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 50 : المجلد الخمسون، سورة الزُّمَر من الآية 05 إلى الآية 72.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 4-81-643-9948-978

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-1291842 بتاريخ 2026/01/07م،

الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية : E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»